البحث الثالث

إصداراتهم والحركة الثقافية لديهم

في بداية تشكيل المجالس ؛ اتخذ مجلس شؤون الطائفة قرارًا في عام ١٩٩٧ بإصدار مجلة خاصة بالطائفة باسم (آفاق مندائية)... وتم تكليف الدكتور قيس مغشغش السعدي بالإشراف على إصدار العدد الأول منها، والذي كان من أربع صفحات... بعدها صدرت أعداد فصلية من المجلة... وبعد أن هاجر الدكتور قيس مغشغش من العراق تمَّ تكليف الأستاذ حامد مغشغش السعدي ليقوم بالمهمة وبمساعدة هيئة تحرير للمجلة، بعد ذلك سُلمت المهمة إلى الأستاذ نزار ياسر صكر، والذي عمل بجد ومثابرة مع زملاءه في هيئة التحرير لأجل تطوير هذه المجلة الغراء وجعلها تنافس أكثر المجلات شهرة في حينها وهي مجلة (ألف باء) والتي تصدرها وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

وفي مقابلة لي والأستاذ نزار ياسر مع الأستاذ أمير الحلو رئيس تحرير تلك المجلة في مقر المجلة سألنا عن الكادر الذي يُصدر آفاق مندائية واندهش الرجل عندما علم أن كادر المجلة هم خمسة من المثقفين المندائيين، لأن ألف باء كانت لها إمكانات كبيرة ولها كادر كبير وتصدرها وزارة، وكانت المجلة تحوي مواضيع شيقة وهامة ومفيدة، وتعتبر أعدادها من المصادر المهمة للتعريف بالمندائيين والثقافة المندائية والدين المندائي، كما أنها كانت مميزة بطريقة طباعتها وإخراجها، وحتى الورق المصقول الذي تُطبع عليه موادها.

ومازالت لحد الآن تصدر آفاق مندائية عن مجلس شؤون الطائفة العام في بغداد، والمثقفون المندائيون رغم توزعهم في قارات العالم يعتبرون آفاق مندائية الحبل السري الذي يربطهم بالوطن الأم العراق... كذلك تصدر في السويد مجلة باسم (الصدى) من قبل الجمعية المندائية في ستوكهولم، أما مجلة (هيمنوثا) التي تعني بالشأن الديني فتصدر في كل من العراق والسويد، كما

توجد إصدارات أخرى في عدد من الدول التي يتواجد فيها المندائيون بأعداد كبيرة نوعًا ما.

يوجد هنالك عدد من العلماء والأدباء لهم إصدارات وأعمال رصينة ورائعة... نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر: (العالم عبد الجبار عبد الله – الكاتب عزيز سباهي– الكاتب عبد الاله سباهي– الكاتب هيثم نافل والي– الشاعر عبد الرازق عبد الواحد– الشاعرة لميعة عباس عمارة– الشاعرة سوسن سيف– الشاعرة حذام عبد السلام عامر– الكاتب جمال حكمت عبيد– الكاتب الناشئ– الشاعر سعدي جبار مكلف – الباحث د. بشير عبد الواحد يوسف– الشاعرة إلهام زكي– الشاعرة زهور بابل– الكاتب ماجد الحبيب– الكاتب عباس فاضل– الكاتب صباح حكمت عبيد.

وتعتبر الأعوام ٢٠١٥ – ٢٠١٦ – ٢٠١٧ أعوام الإصدارات المندائية حيث صدر عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام بالقاهرة نحو خمسة عشر كتابًا أدبيًا وثقافيًا كان لها وقع جميل في نفوس المثقفين ، وهنا أسجِّل شكري وامتناني للكاتب المبدع هيثم نافل والي لتشجعيه الأدباء المندائيين على طباعة إنتاجهم ومتابعة إصداراتهم.

ومن روائع العمل المندائي تأسيس (رابطة الأدباء والفنانين المندائيين) والتي عُقد مؤتمرها التأسيسي في هولندا بتاريخ ٤– ٦– ٢٠١٦ ، والذي تمَّ خلاله انتخاب الأستاذ همام عبد الغني رئيسًا للرابطة والأستاذ فوزي صبار طلاب أمينًا عامًا لها ، كما تمَّ انتخاب هيئة إدارية كفوءة... وكان من المفروض الاهتمام بالأدباء والعلماء الذين لديهم إصدارات متميزة ، ولكن للأسف أهمل هذا الجانب ، وعلى أية حال فإن الرابطة مازالت في بداية عملها والأبواب مُشرعة لاستيعاب جميع الكفاءات.

وهنالك عدد كبير من المثقفين والفنانين يتمنون أن تكون هذه الرابطة مستقلة وغير خاضعة إداريًا وفنيًا لأي تشكيل مندائي ، وهنا يكمن سر الإبداع ، فكل

المؤسسات التي تُدار من قبل الأحزاب والجمعيات أو الدولة فإنها بالتالي تخضع لسياسة الحزب أو الجمعية أو الدولة.

وحاليًا تقع مسؤولية كبيرة على عاتق الهيئة الإدارية للرابطة لتقوم بتنظيم العمل وتشجيع الكتاب والشعراء والفنانين للإنتاج والإبداع، والمتابع والقارئ اللبيب يفرز الغث من السمين، ويحق للنقاد تقييم الإصدارات بكل أمانة وصدق، هنالك مراكز ثقافية مندائية عديدة في عموم أرجاء العالم، وأنا لاحظت أن من أنشطها وأكثرها فعالية هي (الجمعية الثقافية المندائية في مدينة لوند السويدية)، وقد أعجبني كثيرًا حسن تنظيمها للذكرى المئوية للعالم الفذ الدكتور عبد الجبار عبد الله، وكذلك المؤتمر السادس لاتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.

بيت المعرفة أنشأ هذا البيت في مندي القادسية في بغداد على أحدث طراز، وهذا البيت يعتبر اللبنة الأولى لتأسيس أكاديمية الدراسات المندائية ولكن المشكلة هي قلة أعداد المندائيين من حملة الشهادات في العراق حاليًا، وكذلك عدم توفر الأساتذة المختصين... وأنا أرى أن السويد أكثر دولة مؤهلة لتأسيس (كلية الدراسات المندائية) وذلك لوجود عدد من حملة الشهادات العليا المؤهلين أن يكونوا أساتذة ومشرفين على الدراسة فيها، كما أعتقد أنه من الضروري أن ترتبط الكلية بجامعة رصينة تصدر الشهادات منها للطلبة الذين يتخرجون من الكلية، وبعد عدة دورات ممكن أن تصبح الكلية مستقلة بذاتها، ومن ثم ممكن أن تصبح أكاديمية.

المندائيون ونهضة العراق الثقافية :

عدد من المندائيين دخل كلية الشرطة التي كانت تتطلب اللياقة البدنية والشجاعة للقبول فيها، ومنهم من دخل الكلية العسكرية ليتخرج ضابطًا، وأبرز المندائيين وأولهم في هذا المجال هم السادة (أسعد جابر غالي؛ الذي كان أول ضابط مندائي، وعزيز داخل، وسالم هامل، وعربي فرحان، وسعيد فياض)، وكانوا نموذجًا في الوطنية والأمانة والشجاعة والإخلاص، ولكن أكثر القبول كان في مجال التعليم، فتخرج عدد كبير من أبناء المندائيين كمعلمين ومدرسين انتشروا في مدارس العمارة والناصرية والبصرة، وكانوا يتميزون بإخلاصهم واندفاعهم لأداء الواجب، وبأخلاقهم العالية وتفانيهم في عملهم.

ومن الجدير بالذكر أن هذا العدد لم يقتصر على الرجال فقط، بل اندفعت الفتيات المندائيات ليزاحمن إخوانهن الرجال في هذا الميدان، وكانت أول فتاة مندائية تتخرج معلمة هي السيدة المرحومة (باشه عبد الله مسلم)، ثم تبعتها فتيات أخريات كن الرائدات الأوائل في التعليم، منهن : (ناجية غافل، وكمالة عمارة وحلوة شيخ زهرون وغيرهن).

وهناك طرفة لابد من ذكرها، ففي عام ١٩٣٦ عينت الأستاذة ناجية غافل مديرة لمدرسة الرفاعي ضمن منطقة المعارف الجنوبية، وكانت هذه المدرسة فتحًا جديدًا في المدينة، وعينت معها معلمتان إحداهما مسيحية والأخرى يهودية وعند توزيع جدول الدروس الأسبوعي، وجدت المديرة أن هناك فراغًا يتوجب إشغاله لتدريس مادة الدين، ولما لم تكن هناك معلمة مسلمة لتدريسه، خاطبت المديرة إدارة التعليم في البصرة بذلك لإيجاد حل لهذه المشكلة، فما كان من المربي الكبير عبد الرازق إبراهيم إلا أن أجابها بما نصه أن تقوم المعلمة الصابئية بتدريس مادة الدين الإسلامي، مما يعني اعتزازه بالمعلمة الصابئية للقيام بهذا الواجب رغم حساسيته.

ومن الطريف أن أذكر أنه في عام ١٩٤١ – ١٩٤٢ قررت وزارة المعارف العراقية استحداث مدرسة أطلق عليها (كلية الملك فيصل) يقبل فيها من كل لواء الطالبان المتفوقان الأول والثاني من خريجي الدراسة المتوسطة وكان نصيب لواء العمارة آنذاك الطالبين المندائيين (آدم وني الهلالي، ومانع غانم العيداني) وكان هدف الوزارة من فتح هذه المدرسة إعداد كادر متقدم من أبناء الشعب يتولى مستقبلاً أشغال المراكز التخصصية العليا في المؤسسات العلمية والأكاديمية، وكان عميدها انجليزيًا وسارت الدراسة فيها على خير ما يرام خلال السنة الأولى، وعند مستهل السنة الثانية توسع النضال السياسي والوطني في العراق وبعد ثورة مارس التحررية، وعمت الكليات والمعاهد والمدارس الاضطرابات والمظاهرات ضد المستعمر المحتل، وشاركت كلية الملك فيصل فيها، فقررت السلطات غلق الكلية وإعادة طلابها كل إلى لوائه في المدارس الثانوية، وهكذا عاد الطالبان المندائيان إلى ثانوية العمارة، وكان ذلك بعد امتحانات نصف السنة، وهما في مستوى علمي يختلف عما هو موجود في ثانوية العمارة بسبب اختلاف المناهج، وتمكنا من النجاح في الدور الثاني ولكن بعد ضياع فرصة ثمينة لهما كانا يحلمان بها في كلية الملك فيصل، وما ذكرته من كل هذا الحديث أردت أن أستخلص أن أبناء طائفتنا المندائية سباقون إلى العلم والمعرفة، متفاعلون مع أحداث هذا البلد متفوقون إذا سنحت لهم الفرص، وأنهم رمز للإخلاص والتفاني.

التدوين عند المندائيين

كيف دوَّن المندائيون مخطوطاتهم عبر العصور؟

نجح المندائيون بالاحتفاظ بطابعهم الديني والاجتماعي على مدى عشرات القرون، رغم الظروف الصعبة التي مروا بها، والمحن التي تعرضوا إليها، والهجرات المستمرة التي أجبروا عليها، وكما ذكر مؤيد مكلف في مقال له أنهم نجحوا بالاحتفاظ بنصوصهم الدينية الموغلة في القدم، وتقاليدهم الطقسية وتراتيلهم وصلواتهم ومدلولاتهم الدينية ووصاياهم ومواعظهم بفضل تدوينها بخط أيديهم...

ويعود الفضل الأكبر للاحتفاظ بكل هذا التراث لأناس نذروا أنفسهم للدين والطائفة، وتحملوا المصاعب الجمة من أجل ذلك، أولئك هم النساخ والكتبة والشيوخ المدربون على مثل هذا العمل الشاق المرهق، والذين استطاعوا بفضل جهودهم من نقل تلك المدونات بأمانة ودقة دون تحريف أو تغيير، ولنا أن نقدر مدى صعوبة هذا العمل في أزمنة لا مطابع فيها ولا ورق كما ينبغي أن نعرف أن للمندائيين أكثر من كتاب ديني كما أنهم كانوا منتشرين على رقعة جغرافية واسعة، ولهذا السبب فقد احتفظوا بنسخ من نفس النصوص في أماكن متفرقة.

كان الاستنساخ تقليدًا متوارثًا لازمهم على مر الأجيال وساروا على منواله، وكانوا يعتبرون أي تحريف أو هفوة في النقل ذنبًا ولعنة تصيب المحرف، ولهذا حافظوا على دقة النقل للمحتويات الأصلية لتلك المجاميع، ولا يخفى أن المندائيين كغيرهم من سكان العراق القدماء لم يجدوا غير لفائف ورق البردي أو ألواح الرصاص أو الفخار يدونون عليها الكلمة أو الفكرة.

والشيء الملفت للنظر هو أن الذي وصل إلينا من تراث الأجداد المدون لم يكن نصوص تتعلق بشؤون الحياة الاعتيادية كالمعاملات القانونية والتجارية والإدارية، وإنما كانت نصوصًا دينية بحتة، والسبب في ذلك يعود إلى أن

أجدادنا لم تقم لهم كيانات خاصة بهم تتطلب تلك التفاصيل وهذا بلا شك لا يتطلب تنظيمًا مدونًا في كل مجالات الحياة، لأن كل الذي كان يهمهم هو حفظ تراثهم الديني، الذي هو أساس بقائهم كطائفة دينية...

وقد كانت مدينة الطيب مركز مهم وكبير لتجمع أولئك النساخ والكتبة المتمرسين في هذا المجال، والذين كانوا قد تعلموا بالتجربة كيف يصنعون المداد من أخلاط من المواد عرفوها بالخبرة، وأقلامًا للخط صنعوها بأيديهم وورق وألواح أعدوها لهذا الغرض...

واستكمالاً للحديث ينبغي أن نشير ولو إشارة عابرة إلى عدد من أسماء أولئك النساخ الذين ورد ذكرهم في كتبنا المقدسة واقترنت أسماؤهم بالتكريم والإجلال فمنهم من بلغ مرتبة دينية متقدمة (ريشما)، وكان أشهرهم (زازي ادكوزتا برهوا، وراموي بر ايقايمت، واشكندا برياسمن، وبيان بر ابرخ ياور، وهيونا بث تهوي) وغيرهم ذكروا بأسماء دينية (ملاويش) امتدت حتى زمن الرواد الأوائل.

كان ذلك العمل إذن طوعيًا دون أجر مادي تقريبًا للحي العظيم، وقد قاموا به خير قيام مراعين دقة الخط وصحة الحرف وقياس أبعاد السطور فصانوا بعملهم العظيم هذا دينهم من الضياع وتراثهم من النسيان وأوصلوا الأمانة سالمة إلى الأجيال اللاحقة فاستحقوا بذلك شكر المندائيين وامتنانهم على مر الزمان رحمهم الحي القدير برحمته.

مطبوعاتنا المندائية في الخارج...

أسماء متعددة وطموح منشود :[1]

غالبًا ما نسمع عن مطبوعات مندائية تصدر خارج القطر، وبصورة دورية منتظمة أو غير منتظمة وفي نفس الوقت، فهي محدودة الانتشار، والحصول عليها يكون إما عن طريق الهدايا المقدمة من الأصدقاء في الخارج، أو على شكل اشتراكات، فهناك إصدارات عديدة من المطبوعات التي تصدرها الجمعيات المندائية في دول عدة، وهي إما أن تكون على شكل مجلة أو نشرة أو ما شابه ذلك... وقد حددت ملامح هذه المطبوعات من خلال أشكالها ومضامينها وطرق إخراجها الفنية وحتى توزيعها، مع نقد شامل لها، وارتأت مجلة آفاق مندائية أن تقدم ملخص ما جاء في هذا البحث وأهم المطبوعات الصادرة في خارج القطر، والتي كان أولها:

١- مجلة المندائي: وهي أول مجلة مندائية على الإطلاق، صدر عددها الأول عام ١٩٩٠ في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ترأس تحريرها السيدة لميعة عباس عمارة، فهي تصدر باسم المهاجرين المندائيين، وأحد أهدافها هو تعريفهم ببعض أولاً، وبمجتمعهم الجديد ثانيًا، لذلك كان اهتمامها بالدرجة الأولى منصبًا على المواضيع الثقافية والاجتماعية، ثم تأتي بعد ذلك المواضيع الدينية والمنوعات والأخبار.

٢- مجلة الصابئي المندائي: صدر العدد الأول لهذه المجلة عام ١٩٩٦ في هولندا، وهي ناطقة باسم الجمعية الصابئية المندائية، ويرأس هيئة تحريرها السيد جمال المباركي، إنها أول مجلة تصدر بصورة رسمية، في بدايتها كانت مجلة متواضعة إلى أن اتخذت بعد ذلك شكل جديد، فأصبحت مجلة ثقافية اجتماعية فصلية، أما الجانب الديني فلم تهتم به، حيث احتل نسبة ٩% من مواضيع المجلة، وهذا قصور من جانبها لأن أبناءنا في بلاد المهجر مع

١- مقال مهم للأستاذ ليث غالي حاضر حول المطبوعة، تارجى الإطلاع عليه.

انشغالهم بطبيعة المنطقة الجديدة فهم بحاجة إلى نصائح وإرشادات دينية لكي لا ينسوا دينهم ومعتقداتهم.

٣- مجلة الصدى: صدرت عام ١٩٩٥ من قبل الجمعية المندائية في ستوكهولم بالسويد، ترأس هيئة تحريرها الدكتور سعدي السعدي، وتصدر كل شهرين، وهي ثقافية تراثية اعتبرت الدين أحد عناصر التراث، ولم تهتم به كما يجب.

٤- مجلة الفكر المندائي: وهي مجلة يصدرها مركز البحوث المندائية في سيدني – أستراليا من عام ١٩٩٥، ويرأس تحريرها السيد ماجد المباركي، صدرت هذه المجلة في أعدادها الثلاثة الأولى باللغة الانجليزية، والهدف من وراء ذلك كما تقول افتتاحيتها هو الوصول بالدين المندائي إلى الجيل الجديد، كذلك تعريف المختصين بهذه الأمور من غير العرب بالطائفة المندائية، وبعد ذلك استحدث قسم جديد باللغة العربية، هذه المجلة تعني بالمواضيع التاريخية والدينية، ولكنها لم تأخذ حظها في الانتشار لعدم تلبيتها لمتطلبات الجيل الجديد.

٥- العهد: وهو كرأس ديني ثقافي يصدر عن الجمعية المندائية في أستراليا، وصدر العدد التجريبي الأول له عام ١٩٩٨، ولم يكتب اسم رئيس التحرير، وهو كراس داخلي توجد فيه بعض المواضيع الدينية المنضدة إلكترونيًا، وهو لا يتعدى شكل المجلة.

٦- النشر الإخبارية المندائية: وهي تصدر عن الجمعية الصابئية المندائية في هولندا، وصدورها غير منتظم، وتعني بالأخبار الداخلية وبعض المواضيع الاجتماعية التي لا تأخذ صفة المقال أو العمود.

٧- ضفاف مندائية: وهي مجلة تصدرها الجمعية المندائية في جنوب السويد، وتتضمن ٢٥ صفحة، منها دين وتراث مندائي، وفيها ترجمة لبعض البوث لكتابنا المقدس (كنزا ربا) مبارك اسمه.

إن أهمية هذه المطبوعات تكمن في أنها تصدر عن طريق جمعياتنا في الخارج والتي تنطق باسمها، حيث تعرفنا على أخبار إخواننا في بلاد المهجر،

وأحوالهم الثقافية والاجتماعية والدينية وغيرها، ولكن للأسف الشديد ليست في متناول أيدي أبناء الطائفة في العراق، وإن كانت فمحدودة جدًا.

كذلك تعددت أهمية هذه المجلات أو المطبوعات في أنها عرَّفت المندائيين في خارج الوطن على الأماكن التي اختاروها ليعيشوا فيها كالعادات والتقاليد والأماكن التي يمكن لهم أن يلتقوا فيها، وهذه المجلات وإن لم تلب الطموح المنشود في ترسيخ الديانة المندائية في تلك المجتمعات لكنها حاولت وتحاول ذلك، وهذا أحسن من لا شيء، ولكن يا ترى هل ستستمر على هذا النهج أم ستحكمها ظروف المجتمعات الغربية وسيادة العولمة.